

السرد الروائي والرؤية التاريخية في رواية "قناديل ملك الجليل" لإبراهيم نصر الله

سامي محمد عيابة*

ملخص

يدرس هذا البحث علاقة السرد الروائي بالتاريخ في رواية إبراهيم نصر الله "قناديل ملك الجليل" من أربعة جوانب: حقيقة النوع الأدبي، والخطاب السردى والقصة التاريخية، وحقيقة الرؤية التاريخية، وتشكيل الشخصية. وقد بني على محاولة الكشف عن القيمة الفنية والرؤية الفكرية التي مثلتها الرواية في تقديمها لمادة تاريخية ارتبطت بالشيخ ظاهر العمر الزيداني. وقد أظهر البحث أن هذه الرواية تجسد حالة إشكالية في علاقتها بالتاريخ، لاشتراكهما في المادة المطروحة، وأن ميزتها تكمن في قدرة السرد الروائي على إعادة تمثيل الأحداث التاريخية، وتوليد الإحساس بالحدث التاريخي بما يتجاوز الإخبار إلى التخيل الروائي، وفي قدرة الخطاب السردى على منح النص قيمته الأدبية. كما أظهر أن فكرة الرواية ورؤية كاتبها تتمثل في رفع مستوى حضور شخصية "ظاهر العمر الزيداني" من مستوى الحدث التاريخي المنتهي إلى أفق اللحظة الراهنة، ليكون بمثابة الرمز المطلق الذي تجاوز بصنيعة الظرفية التاريخية التي ظهر فيها.

الكلمات الدالة: السرد الروائي، رواية "قناديل ملك الجليل"، الرواية التاريخية.

المقدمة

وكيف يميز الخطاب السردى من الخطاب التاريخي؟ وما هي الرؤية التاريخية الكامنة في الرواية؟ وما مدى مطابقة الشخصية لوجودها التاريخي؟ وهل حوّر على الشخصية التاريخية لتتناسب فكرته التي أقام عليها الرواية؟ فهذه الأسئلة هي ما تبلور محاور هذه الدراسة وما تحاوله من أجل تحليل هذه الرواية، واستكناه أبعادها الدلالية والقيم الفنية فيها، وما تحمله من رؤية خاصة تتجاوز الفكرة التي يمكن أن تحاط بها الرواية، ويحاط بها مشروع إبراهيم نصر الله، من أنها تعكس رغبة في التعريف بتاريخ فلسطين ليس له سوى دافع الحنين إلى زمن مضى، وهاجس الرغبة الممزوجة بالحلم في تجاوز اللحظة الراهنة، فالإضاءات التي افتتح بها الروائي روايته قد أظهرت جانبين: الأول: الرغبة في الكشف عن "هذه الشخصية التاريخية ومشروعها التحرري العظيم" (نصر الله، 2012، ص7)، وهو الجانب الأكثر إثارة في الرؤية التي تسعى الرواية إلى ترسيخها، وقد برز ذلك بوضوح في عنوان الرواية "قناديل ملك الجليل"، إذ تشير لفظة القناديل في ذاتها إلى النور وتبديد الظلام، وهو ما يربطها بالرغبة في تأسيس مشروع تنويري انطلاقاً من تجربة الشيخ ظاهر العمر الزيداني، ومن الشيق في هذا السياق متابعة حضور لفظة القناديل في الخطاب السردى والدلالات التي اقترنت به كما سيأتي، والثاني: التعريف بهذه الشخصية العظيمة التي يجهلها

تثير رواية إبراهيم نصر الله "قناديل ملك الجليل" تساؤلات جمّة؛ فهي تأتي استكمالاً لمشروع روائي حمل عنوان: "الملهاة الفلسطينية"، وضم روايات: "طيور الحذر" (1996)، و"طفل الممحة" (2000)، و"زينتون الشوارع" (2002)، و"تحت شمس الضحى" (2004)، و"أعراس آمنة" (2004)، و"زمن الخيول البيضاء" (2007)، ومن ثم لا يمكن أن تدرس بمعزل عن الفضاء الخاص بهذا المشروع، ثم إنها تتناول شخصية تاريخية حقيقية هي شخصية "ظاهر العمر الزيداني"، الأمر الذي يربطها بالتاريخ ويصنفها تحت ما يعرف بالرواية التاريخية، ولا بدّ أن ذلك سيثير تساؤلات كثيرة حول قيمة عمل روائي يقوم على موضوع تاريخي ربما يكون التاريخ قد قدمه من قبل، فهل انساق الكاتب وراء التاريخ أم أنّه وظّف الحدث التاريخي بشكل انتقائي لخدمة غرضه أو فكرته الروائية؟ وهل أعادنا إبراهيم نصر الله إلى التاريخ كما هو أم استعاد المناخ التاريخي للشخصية فقط ومنح نفسه قدراً من الحرية للتحرك؟ وهل استطاع إبراهيم نصر الله التغلب على نمطية السرد التاريخي؟

* قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، عمان. تاريخ استلام البحث 2015/2/15 وتاريخ قبوله 2015/4/7.

قدم به الروائي لنصه تحت عنوان "إضاءات" إذ يربط الرواية بالتاريخ بطريقة توثيقية واضحة، ويكشف عن دوافعه ومراجعته وأهدافه من كتابة عمله، وهو ما يحقق جانباً من الإيهام في الرواية التاريخية. وهذا كله يؤكد ضرورة الكشف عن حقيقة النوع الأدبي للرواية الذي توزع بين: فن الرواية، والملهاة، والتاريخ، فهذه أنواع ثلاثة، الأول والثاني لهما تقاليدهما الأدبية الراسخة، أما الثالث، فمن المفترض أن يكون علماً، لكنه ينتمي إلى حقل الأدب بالمفهوم العام له، أي أنه - بلغة أخرى - أدب ذو تقاليد أدبية غير راسخة، خاصة إن أخذ بعين الاعتبار أنه ينتمي - بشكل ما - إلى كتابة السيرة، وهي تختلف عن التاريخ العام في أنها تقترب إلى حد ما من الفن عندما تسعى إلى دمج التاريخ بذاتية الفن في محاولتها استثارة العاطفة تجاه الشخصية موضوع السيرة.

وعند الحديث عن حقيقة النوع الأدبي لهذا العمل لا بد من البحث في العناصر المحيطة بالعمل ككل، وهي التي أدت إلى هذا الوضع الإشكالي، وأملت ضرورة البحث في حقيقة النوع الأدبي الذي ينتمي إليه ويشكل ضمانته عند القراء وطريقة قراءته، فإذا ما نظر إلى العناصر الخارجية لوحظ أنها مشكلة من مجموعة من المحددات التي تموضع العمل في إطار نسج مفاهيمي مترابط ومتباين في الوقت ذاته، هذه العناصر هي: السيرة، الملهاة، الرواية. وهي التي ظهرت على غلاف هذا العمل، وفي مفتحه ونهايته. ثم هناك العناصر الداخلية المشكلة له؛ وهي منحصرة في عنصرين: "العناصر السردية"، و"العنوانات الفرعية" التي بدت مدهشة وشاعرية إلى حد بعيد، وكلاهما يهب هذا العمل هويته الأدبية.

إن الذي يمنح العناصر الخارجية أحييتها في البحث على الرغم من أنها ذات حضور مختزل في الإشارات الأولى الموضوعية على الغلاف، هو أنها قد شغفت بما يرسخ جانباً كبيراً من الإشكالية، فهناك إلى جانبها: تقديم العمل الذي جاء تحت عنوان "إضاءات"، ثم قائمة المراجع التي ظهرت في نهاية العمل، وكلها عمل على تأطيره وفرض عليه سياقاً خاصاً، وأكسبه موثوقية الأمانة التاريخية، إمعناً في تحقيق الرؤية التاريخية.

وبدءاً بعنوان "الملهاة الفلسطينية"، الذي يشير إلى نوع أدبي راسخ للتقاليد في فن المسرح، يمكن اكتشاف رغبة الكاتب في النظر إلى التاريخ وأحداثه المأساوية الساخرة على أنه يشبه أية حالة متخيلة تتجسد في الأدب، فالنظر إلى ما حدث في فلسطين على أنه "ملهاة"، كأنما يختزل الروائي حركة التاريخ في لحظة ساخرة للزمن من مجريات ما يحدث في التاريخ، فكل ما يجري في التاريخ - في نظره - هو محض ملهاة، وليس

قطاع كبير من الناس في فلسطين وخارجها (نصر الله، 2012، ص8)، بحيث بدا العمل في مجمله وكأنه مصدر من مصادر معرفة هذه الشخصية التاريخية، خاصة أن الكاتب لم يتوان عن كشف مصادره ومراجعته عنها، على الرغم من أنه قد مزج في روايته بين مرجعيتين: مرجعية ذات موثوقية مرتبطة بالحدث التاريخي والأمانة التاريخية، ومرجعية تخيلية مرتبطة بالحدث الروائي الذي ابتكره الروائي.

ولتحقيق هذه الغاية تسعى الدراسة إلى أن تثير مجموعة من القضايا الهامة، لعل أبرزها تحديد وضع الرواية في ظل التاريخ من مختلف العلاقات المشكلة بينهما ربطاً وانفصالاً، وفي جانبي الرؤية والدلالة والقيمة الفنية، وهو ما يمكن بحثه في جوانب أربعة:

1- ما تشهده الرواية من إشكاليات خاصة على صعيد "النوع الأدبي"، متضمناً ذلك جدلية علاقتها بالتاريخ، وما يثيره عنوان "الملهاة الفلسطينية" من تساؤلات حول حقيقة النوع الأدبي للرواية.

2- صلة الخطاب السردى بالحدث التاريخي انطلاقاً من الرؤية الفكرية التي مثلها الحدث التاريخي وشكلت فنياً في الخطاب السردى، وهو ما يمكن بحثه بدراسة الخطاب السردى والقصة التاريخية.

3- حقيقة الرؤية التاريخية التي قامت عليها الرواية.

4- تكوين الشخصية التاريخية تكويناً روائياً، خاصة شخصية البطل (ظاهر العمر الزيداني).

ومن ثم سيكون بالمقدور خلال ذلك كشف رؤية الروائي في كيفية تعامله مع الحدث التاريخي، ليتجاوز به حسيته التاريخية، ويتجاوز به الماضي لينسج موقعة الحدث والبطل التاريخيين في أفق اللحظة الراهنة والمستقبلية، بما يرفع مكانة الشخصيات والأحداث إلى مستوى النموذج والرمز في الزمن المطلق.

أولاً: حقيقة النوع الأدبي

تصدر هذه الرواية عن رؤية في التاريخ لا يمكن تجاوزها، والروائي إذ يسعى إلى تقديم رؤيته التاريخية مستغلاً الفن الروائي، فإنه بلا شك يعي الإشكاليات المصاحبة لعمله هذا على صعيد التصنيف النوعي للجنس الأدبي، بل إنه يسعى لتأصيلها على نحو ملحوظ، فبدءاً بغلاف الرواية الذي يحمل إشارة مزدوجة على صعيد التقسيم النوعي للأدب، إذ أشير فيه إلى نوعين أدبيين: الأول ملهاة، إذ تشكل الرواية الجزء السابع في مشروعه الملهاة الفلسطينية، والثاني إصرار الكاتب على وضع كلمة رواية تحت عنوانها مباشرة. يضاف إلى ذلك ما

كونها مزيجاً" (مارتن، 1998، ص48)، ولا شك أن في ذلك إشارة إلى صلة الرواية بفنون ذات تقاليد أدبية راسخة مثل: الملحمة وروايات الفروسية، فضلاً عن صلتها بمجالات وفنون أخرى ذات تقاليد أدبية غير راسخة مثل التاريخ كما أشير سابقاً.

ويبدو أنه من غير الممكن الكشف عن مفهوم الرواية وتجذره في هذا العمل إلا بمتابعة دقيقة لعناصر خطابها السردية في صلتها بالتاريخ، وهي جزء أساسي من العناصر الداخلية كما أشير سابقاً.

ثانياً: الخطاب السردية والقصة التاريخية

لا شك أن التعامل مع رواية تاريخية مثل "قناديل ملك الجليل"، بكل ارتباطاتها التاريخية الماضية والحاضرة إنما يدفع نحو البحث عن هذه الحالة الجدلية الماثلة في الرواية في توزيعها بين الأدب والتاريخ، وهو ما يمكن بحثه من جهتين:

الأولى: من جهة مفهوم بنية الرواية ذاته الذي يتشكل بنيوياً بحسب علم السرد (Narratology) من بنيتين: بنية القصة (Story) أو التاريخ (History) التي تتكون من المواد قبل اللفظية في نظامها التاريخي، والتي تقع في إطار الحالة التاريخية لظاهر العمر الزيداني والأحداث التي وقعت في الفترة الزمنية (1689-1775م)، وبنية السرد (Narrative) أو الخطاب (Discourse)، وهي تشمل "جميع المقومات التي يضيفها الكاتب إلى القصة، لاسيما التغييرات في سياق الزمن وتقديم ما في وعي الشخصيات، وعلاقة السارد بالقصة والجمهور" (مارتن، 1998، ص140)، بحيث يُستظهر ما ينتمي إلى التاريخ، وما ينتمي إلى الخطاب السردية، وحيث يتمكن الخطاب السردية من وسم القصة التاريخية بـ"صيغة تشخيصها الأدبي، التي تعطي الأولوية لاتصال أقصى مع الحاضر (أو المعاصر) غير المنجز" على حد تعبير ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) (شارتيه، 2001، ص39)، فالرواية تستند إلى مرجعيتين. شأنها في ذلك شأن أي رواية تاريخية. مرجعية متصلة بالحدث التاريخي، ومرجعية تخيلية مقترنة بالسرد الروائي، وقد انتقى إبراهيم نصر الله من الحدث التاريخي ما يحقق رؤيته من التاريخ، ثم دمج فيه أحداثاً متخيلة، ليتجاوز بذلك نمطية السرد التاريخي.

ولا بدّ هنا- من الإشارة إلى أن "علم السرد" يُرجع الصنف الأول في بنية الرواية إلى الأحداث الأساسية، وتعرف بـ"الوظائف التوزيعية"، وقد ارتكزت هذه الرواية على ذلك على نحو واضح للغاية لأنها رواية تاريخية، في حين يُرجع الصنف الثاني منها، الذي يعرف بـ"الوظائف الاندماجية"، إلى مدلولات،

التاريخ سوى منصة كبرى تمثل فيها الأحداث التاريخية بشكل متكرر، حيث إن التاريخ إما أنه يلهو ويعبث بالإنسان، أو أنه صنيع الإنسان وتحقق لفاعليته في الوجود، وفلسطين هي المنصة التي تحتضن هذا الفعل. ولعل هذا العنوان ما جعل مجموع الروايات التي وقعت تحتها تثير الدهشة، فهذه "الروايات في موضوعاتها وأحداثها وشخصياتها أقرب إلى عالم المأساة (التراجيديا) منها إلى عالم الملهاة (الكوميديا)" (عبد القادر، 2012، ص169)، وهذه الرؤية التي يضمنها الكاتب رواياته قد ترسخت في هذا المصطلح الذي أطر مجموع هذه الروايات، وحددت طريقة قراءتها، للوصول إلى ذائقة القراء.

أما صلة العمل بالتاريخ، من خلال الكشف عن السيرة التاريخية لشخصية ظاهر العمر الزيداني، فإنها تقع فيما يعرف في فن السيرة بالميثاق المرجعي (هياس، 2001، ص20)، وقد حقق في عناصر ثلاثة: الأول: الحقيقة التاريخية؛ فأغلب ما تقوم عليه الرواية من أماكن وزمن وأحداث وشخصيات هو حقائق تاريخية، وبلغت الانتباه أن الكاتب قد حرص في نهاية العمل على إدراج خارطة لفلسطين تظهر المدن والقرى التي وقعت فيها أحداث الرواية (نصر الله، 2012، ص556)، وهو ما يعني أن إبراهيم نصر الله قد استخدم "أدوات المؤرخ والفنان في الوقت نفسه" (أبو هيف، 2002، ص53)، والثاني: تقديم الرواية تحت عنوان "إضاءات"، الذي أظهر فيه الكاتب دوافع الكتابة في هذا الموضوع ورسالة العمل وهدفه، وهذه جميعها تزيد من موثوقية ما يطرح فيه، وتعطي إحساساً بالجدية بشكل يسمح بإعادة النظر في مفهوم "الملهاة" ليؤخذ على محمل "المفارقة"، إذ يجسد في هذا الوضع حالة النقيضة التامة في دلالته، فليست الملهاة سوى إطار ساخر لحالة المأساة التي تجسدها فلسطين وشعبها. أما العنصر الثالث فهو قائمة المراجع التي ذكرها الكاتب في نهاية عمله (نصر الله، 2012، ص557)، وهي لا تنحصر بالرغبة في إشاعة الإحساس بالجدية والموثوقية وحدهما، وإنما تدفع بالأدب ليكون مصدراً من مصادر المعرفة، إذ يعي الكاتب رسالة العمل الأدبي بأنها استشرافية أكثر من كونها متعلقة بالماضي، ومن هذا المنطلق تصبح قيمة العمل في كونه يقدم نفسه على أنه نبوءة قابلة للتحقق، وهو ما يتأكد من اختيار لفظة القناديل في العنوان.

ولعل مصطلح "رواية"، الذي وضع تالياً للعنوان "قناديل ملك الجليل"، ما جعل هذا العمل يصنف تحت فن الرواية، وهو مع ذلك مفهوم يشهد جملة من الإشكاليات، فالرواية "بوصفها نوعاً قصصياً لم تستقر بعدُ نظمه الداخلية" (إبراهيم، 1990، ص103)، وقد قيل إنّ الرواية "مركب غير مستقر" (مارتن، 1998، ص48)، وقيل: "لا توجد الرواية إلا في حال

من الاهتمام في نص الرواية بأمرين شكلاً أهم عناصره الداخلية التي أكسبت النص أدبيته، وشرعية انتمائه إلى فن الرواية بدل التاريخ، وهذان العنصران هما:

- القرائن المدمجة من خلال ما يضيفه السرد إلى الحدث التاريخي، سواء ما تعلق منها بالتفاصيل البسيطة، أو الأوصاف التي تعطى للأحداث أو الأشياء وتدمج فيها، والتي لا شك في أنها ليست جزءاً من الحدث التاريخي.
- شعرية اللغة السردية، وقد حققت في أمرين: الأول: (العنوانات الفرعية) التي وزعت عليها فصول الرواية، وهي كما سيظهر قدرة على توليد الإحساس واستثارة المخيلة على نحو بديع متقن. والثاني: القدرة على شحن المفردات اللغوية بدلالات خاصة كما يظهر في لفظة "القناديل" التي ظهرت في العنوان وشهدت انتشاراً واضحاً في الخطاب السردية.

القرائن المدمجة

لعل التفاصيل البسيطة التي ألصقت بالشخصيات والأحداث من أهم ما يفتح المجال للمخيلة كي لا تتعامل مع هذه الأحداث في مستواها العادي، وتنقلها أسلوبياً من مستوى الخبر إلى مستوى السرد، وهذه التفاصيل تنتشر لتغطي النص السردية كاملاً في الرواية، ففي الفصل المعنون بـ "يوم بعيد وسيف مهزوم" يتجاوز الخطاب السردية الحدث إلى الاهتمام بالتفاصيل الوصفية البسيطة، المثقلة بالشحنات الشعرية والعاطفية التي تبرزها عبارات مثل: "احتضن عمر ابنه الرضيع: ظاهر، بيدين مرتعشتين، ابتعد قليلاً، إلى نهاية ذلك الحوش الواسع. وفي ركن قصي من أركان ذلك السور الحجري العالي المحيط بالبيت، قال لابنه: أرجوك لا تمت، فيك من رائحتها الآن، ما ليس في أحد غيرك من أولادي، فيك كل رائحتها. لا تمت" (نصر الله، 2012، ص18)، إذ يبرز في هذه العبارة وصف حالة عمر الزيداني وهو يتابع لحظة حرجة في تأرجح ابنه الوليد بين الحياة والموت بعد موت والدته عند الولادة، فضلاً عن وصفه لهذا الفضاء الخانق رغم اتساعه "الحوش الواسع"، وكأنه محاصر "في ركن قصي من أركان ذلك السور الحجري العالي المحيط بالبيت". إن مثل هذه الأوصاف الدقيقة التي لا تتطلبها كتابة التاريخ بطبيعة الحال، ولم تكن جزءاً من الحدث التاريخي، إنما هي سعي لإشاعة إحساس خاص يتلاءم مع الحالة المخيلة، والروائي -بذلك- يخلط مجموعة من الحقائق والوقائع مع الخيالات، وهو أمر لا ينجو منه التاريخ نفسه، مع فارق أن الرواية تقيم علاقة مع القارئ على هذا الأساس، والتاريخ لا يفعل ذلك" (إبراهيم، 2012، ص37). كذلك يتجاوز الروائي هذا البعد في محاولة

وقد أشار رولان بارت (Roland Barthes) إلى ذلك وإلى أن الحكايات الخرافية والشعبية غالباً ما تؤثر التركيز على الوظائف الأساسية التوزيعية، في حين تؤثر الروايات الجديدة: النفسية وغير التقليدية التركيز على الوظائف الاندماجية (القرائن) (بارت، 1988، ص105-106)⁽¹⁾. وعلى أساس ذلك فإن الكشف عن الأبعاد الأيديولوجية والرؤى التي يجسدها الروائي في خطابه السردية يمكن أن يجد مجالاً رحباً في تحليل الوظائف الاندماجية التي تشكل أساس الخطاب السردية في مقابل تاريخ القصة.

ولعل أهم ما يكشف عن حالة التشخيص الأدبي لهذا العمل وصلته بفن الرواية هو الصيغة السردية التي نقلت الأحداث والشخصية من إطار تاريخي يفترض أنه يقدم الحقيقة إلى أفق تخيلي يعيد تمثيلها، ويعمل على شحنها بكل ما يستلزمه العالم الإنساني من عواطف ومشاعر وجوانب تفكير وإرادة وفعل، فالرواية قد صورت الحياة "بكل عناصرها الإنسانية: الواقعية والموضوعية، والخيالية الأسطورية" (الزعيبي، 2011)، و"الرواية التاريخية ليست حكاية وقائع التاريخ، وإن احتوت هذه الوقائع، ولكنها عملية عودة واستعادة للفترة التاريخية المحكية" (أبو نضال، 2006، ص42)، فضلاً عن الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة واليومية مما لم يكن -أبداً- جزءاً من اهتمامات المؤرخ وعمله، فقد "ترتبط الرواية بالتاريخ للتعبير عما لا يقوله التاريخ" (الحجمري، 1997، ص63)، لقد عمل إبراهيم نصر الله على نقل ما هو تاريخي/زمني بشأن شخصية ظاهر العمر الزيداني والأفعال التي قام بها إلى مستوى فني يكاد يكون مطلقاً/لازماً، لتشير إلى حالة خاصة بطبيعة الفن، فبدلاً من سعي الفن إلى تمثيل الواقع، وتوليد الإحساس بصلته بالواقع والتاريخ، يصبح من مهمته الآن نقل الواقع والتاريخ، بما أنه قد وقع فعلاً، إلى أفق الفن ومجاله التخيلي، وبذلك يستند النص الروائي "إلى قوة الحقيقة وقوة الخيال في اتحادهما بجوهر الأحداث وجوهر الشخصيات" (الأسطة، 2014)، وهو ما ينبغي أن يؤصل لرغبة أكيدة لدى الروائي إلى صنع رموز من شخصيات التاريخ، وصنع نموذج من أحداثه، وفي هذه الحالة لا يمكن ترك كثير من العبارات أو الإشارات تمر ببساطة دون الاهتمام بها بوعي خاص ينبغي له أن يتجاوز التاريخ على الأقل في صورته الماضية، ومن أجل ذلك لا بدّ، والحالة هذه،

(1) يقسم بارت عناصر السرد إلى صنفين: الوظائف التوزيعية، ويدعوها بالوظائف وهي تتعلق بالأفعال والأحداث، والوظائف الاندماجية، ويدعوها القرائن وهي تتعلق بالشخصيات أو المناخ أو الشعور... إلخ.

144)، والذي لا يشكل جزءاً من التاريخ والقصة التاريخية بحيث يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بترابط الحكاية، ودون أن تفقد تسلسلها الزمني وترابطها المنطقي اللازم الذي تصر عليه كتابة التاريخ، ومن ثم يمكن الاستغناء عنه في تاريخ القصة، لا يمكن في الوقت ذاته أن يكون غير هام أو مجانياً، ولكنه قد أدمج بالحدث لتحقيق أمرين:

1- تقديم ما في وعي الروائي مما له صلة بقراءته للحدث التاريخي، وما ينبغي أن يشكل وعي قارئ الرواية أيضاً، إذ يسعى إلى تجذير علاقة الإنسان بالأرض (فلسطين)، فإذا كان المؤرخ ينقل الحدث باعتباره ماضياً منتهياً، فإن الروائي يسرد الحدث نفسه معيداً تمثيله في خطاب أدبي، وإذا كان المؤرخ يهدف إلى استعادة صورة الماضي، فإن الروائي يتمثل الماضي على أساس أنه مجال ووسيلة للعبور من العالم القديم؛ من حدث قديم، إلى اللحظة الراهنة والأبدية المطلقة، متخطياً التقسيمات الزمنية. وتمثيل الحدث التاريخي في الخطاب السرد لا يتم في مستواه الزمني، وإنما يسعى الروائي من خلال إعادة التمثيل هذه للوصول إلى المستوى القيمي المطلق، وهو ما يجعل الحدث التاريخي أكثر اتساعاً وتجاوزاً لظرفية الحدث والشخصيات التاريخية. هذا ما يضيفه مثل هذا النص وكأنه يخاطب القارئ في اللحظة الراهنة ليحس بالأرض وبالخيول التي وطنتها، وليكون هو البطل في زمنه الخاص.

2- إعطاء الحدث بعده الإنشائي اللازم لتحقيق شرط السرد الروائي، بحيث يتبين الفرق بين التاريخ وفن السرد، فهذا النص الذي يقع في إطار ما يعرف في "علم السرد البنيوي" بالقرائن أو الوظائف الاندماجية، هو ما يهب النص الروائي قيمته الأدبية، ويدفع به من شرك التاريخ إلى أفق الفن الأدبي، والنوع الروائي منه بخاصة، وهذا ما يمكن تمثله - أيضاً- في النص التالي:

"في ذلك الضحى، المضاء بشمس طيبة وبنوار اللوز والأزهار البرية الياضعة، خرجت تلك المرضعة الشابة، من بيت عثمان الظاهر، باكية متعثرة، كلما ارتطمت بشيء، وقد عميت أقمارها، تصاعد بكاءها أكثر، حتى وجدت نفسها في بيتها.

كانت تبكي، كما لو أن الإنسان لم يُخلق إلا ليبكي، ولا شيء غير ذلك!

بدأ الناس يتقاطرون على بيت تلك المرأة، مرضعة ابن عثمان، وقد هزتهم حكايتها التي باتت على كل لسان. المرأة التي لن تتوقف عن البكاء، قبل أن تذوب!

تأسيس حالة متخيلة تمزج الواقع بالأسطورة، إذ يسقط على الفرس حليلة المشاعر الإنسانية والوعي الإنساني، كما في الجزء التالي: "شيء واحد أعاده إلى رشده من جديد، ذلك الصهيل الخافت لحليمة، فرسه البيضاء، كانت تصهل بخفوت حزين، وتتلقت صوبهم. كم مرة صهلت قبل أن ينتبهوا؟! قبل أن يروا مهرتها الصغيرة تدسّ رأسها بين قائمتيها الخلفيتين وترضع؟

نكزت الفرس البيضاء ابنتها فابتعدت، لكنها عادت تدور حول أمها محاولة العودة إلى ذلك الضرع. في تلك اللحظة، أشرق خاطر ما في قلب نجمة، فوقفت...

سارت بصمت نحو الداخل، وحين عادت، كان في يدها صحن فخار. رأتها الفرس البيضاء، فصهلت أكثر، كما لو أنها تستحثها أن تسرع... ألقت الفرس عليها نظرة تشجعها، وبدا لنجمة أن الفرس تهزّ رأسها راضية تماماً بما يحدث" (نصر الله، 2012، ص19).

فلا شك أن هذا المشهد يقيم مرتكزه على محاولة إحداث حالة متخيلة تتجاوز الواقع إلى إمكانياته الأدبية، وهو ما تبلوره الكتابة الروائية لتجعله مقبولاً على هذا النحو.

ويمكن استظهار هذا البعد السردى وقدرته على النهوض بالرسالة التي يسعى الكاتب إلى ترسيخها في خطابه السردى، والتي لم تكن جزءاً من التاريخ في صيغته المعروفة، عند قراءة النص الروائي بدقة، حيث يمكن استظهار ما أضافه الروائي إلى الأحداث التاريخية لظاهر العمر الزيداني مما يشكل هيمنة واضحة لأفق المؤلف الذي يتجلى حضورياً في الروائي، الذي استحضر كثيراً من ثقافته ورؤيته الخاصة في زمنه الخاص ليهب الحدث التاريخي روحه الإنسانية ويدمجها في الحدث التاريخي، هذا ما يبدو في قول نجمة لظاهر العمر الزيداني، مثلاً، بعد أن اختير متسلماً لطبرية خلفاً لأبيه، إذ قالت:

"لقد خطوت خطواتك الأولى هنا، لم يكن هناك من بقعة في طبرية أفضل من هذه كي تسير حافياً فوقها، فهنا الأرض مليئة بالخيول! لا تحاول استرجاع ما مرّ، وكله فيك الآن! أنت بحاجة لأن تسير اليوم فوق هذه الأرض وأن تحسّها، وتحسّ بكلّ الخيول التي عدت فوقها، أنت بحاجة لأن تتشربهما معاً: الأرض والخيول! بعد وقت طال هزته: فتح عينيه: هذا يكفي! لا أريدك أن تتحول منذ الآن إلى حصان، أو حتى جبل فالطريق أمامك طويل!" (نصر الله، 2012، ص43).

إنّ هذا القول وحدث السير على التراب بهذه الصورة، الذي تكرر في الرواية أكثر من مرة (نصر الله، 2012، ص16،

ذات يوم، غابت بحر الدموع الذي جرفها وغلبته، وقالت كل شيء دفعة واحدة" (نصر الله، 2012، ص403).

فما من شك أن تقديم الحدث بإضافة الأوصاف للأبعاد الزمانية والمكانية بهذه الصورة البهية المعبرة عن البراءة في عبارات مثل: "في ذلك الضحى، المضاء بشمس طيبة وبنوار اللوز والأزهار البرية اليناعة، خرجت تلك المرضعة الشابة..." إلى آخر الأوصاف المقترنة بالحدث، والعبارات الشعرية من مثل: "ذات يوم، غابت بحر الدموع الذي جرفها وغلبته"، لم يكن ضرورياً للحدث التاريخي، ولكنه أساسي للغاية لتأكيد أدبية النص الروائي، وتوليد الإحساس اللازم للتفاعل مع الحدث، حيث يمتزج التاريخ بذاتية المشاعر الإنسانية المفرطة. فمثل هذه الإضافات من أحداث جزئية وأوصاف وتفاصيل هي من ابتكارات إبراهيم نصر الله دمجها بالقصة التاريخية لشخصية ظاهر العمر الزيداني ليحقق من خلالها رؤيته التاريخية الخاصة.

ولعل من المثير في هذا الجانب النجاح الذي يحققه الروائي في استغلال مثل هذه القرائن لاستباق الحدث، وتوليد الفضاء الروائي اللازم لتحقيق الأثر المصاحب للحدث قبل نقله، حيث استطاع الروائي أن يشحن الحدث بالفضاء اللازم لإشاعة المشاعر والأحاسيس المفعمة بحيوية الحدث أو قتامة، فعند لقاء أبناء الشيخ ظاهر العمر بقائد القوات المصرية محمد أبو الذهب، الذي اتسم بالمراوغة والتردد، يبدأ الروائي خطابه السردى بقوله:

"كانت غيوم آذار الرمادية واقفة في السماء كما لو أنها مثبتة بالرماح!

أما البحر فكان يتقدم موجة ويتراجع اثنتين! في حين امتلأ الشاطئ بعشرات النوارس المتطلعة لبقايا الأطعمة" (نصر الله، 2012، ص489)

هنا كان ذكر غيوم آذار ووصفها بالرمادية، كفيلاً بتوليد الإحساس بالمراوغة، ثم وصفها بأنها واقفة على غير عادة الغيوم، وتشبيهها بالمثبتة بالرماح، ووصف البحر بما وصف به: "يتقدم موجة ويتراجع اثنتين" إلى آخر الأوصاف التي تقدمت ذكر الحدث ذاته قد مكن الروائي من رسم مشهد روائي حي قادر على توليد حس استباق لما سيصدر عن شخصية محمد أبو الذهب الذي عرف عنه التردد، كما أن صورة النوارس المتطلعة إلى بقايا الأطعمة تكشف عن جمالية أسلوبية بديلة للتعبير عن الطمع والجشع الذي تجلى في سلوك

أبناء ظاهر العمر الزيداني⁽²⁾.

ولعل من الملحوظ أن إبراهيم نصر الله لم يسع إلى الإخلال بالخط الزمني للتاريخ، فلم يركز الخطاب الروائي على التقنيات السردية التي تخلخل السياق الزمني مثل الاسترجاع بشكل لافت وواضح، وقد يكون مرد ذلك إلى رغبته في تحقيق قدر من مصداقية الحدث التاريخي ليوحى بإمكانية تمثله وتحقيقه في الزمن الحاضر.

شعرية اللغة السردية

تكشف لغة الخطاب السردى في رواية "قناديل ملك الجليل" عن الموهبة الشعرية التي يتمتع بها إبراهيم نصر الله، وقد بلورت في جانبين مثيرين ميزاً هذه اللغة، أولهما (العنوانات الفرعية) التي قدمت فيها فصول الرواية والتي حققت قيمة أسلوبية خاصة كانت قادرة على استثارة المخيلة على نحو مثير، ولا شك أن هذه القيمة الأسلوبية تعمل على وسم الخطاب السردى للعمل الروائي بطابعه الأدبي، الذي يعمل دون أدنى شك على مجاوزة الخطاب التاريخي، وفرض هيمنة أدبية على هذا الخطاب، ويمكن ملاحظة ذلك في النماذج الآتية، مع ملاحظة ما يقابلها من أحداث تاريخية أريد نقلها:

- 1- الظل الشاسع والمرأة الحافية ➡ دفن عمر الزيداني وبروز شخصية نجمة.
- 2- يوم بعيد وسيف مهزوم ➡ ولادة ظاهر وعدم قبوله الرضاة بعد موت أمه، والإحباط الذي عاناه والده.
- 3- سهل واسع وغزلان هاربة ➡ حرب البعنة.
- 4- الصيد الوحشي والفتى المطارد ➡ ظهور بشر وإنقاذه من عمر الزيداني.
- 5- نيران وشتائم طائرة ➡ حصار البعنة وشتم ظاهر للوزير العثماني.

فمثل هذه الصيغ الأسلوبية التي قدمت الأحداث التاريخية التي قامت عليها الرواية كانت قادرة على بلورة الأسلوب السردى فيها، الذي دفع بها إلى حيز الخطاب الأدبي وفضائه الخاص.

وثانيهما: القدرة على شحن بعض مفردات اللغة بدلالات

(2) ذكر عبود الصباغ وجود مراسلات سرية بين محمد أبو الذهب وعلي بن ظاهر الذي كانت له أطماع في أن يحل مكان أبيه، الصباغ، عبود، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، تحقيق: محمد عيد الكريم محافظة وعصام مصطفى هزيمة، دار الكندي، إربد، 1999م، (95-96).

الحضور يجعل منها موتيفاً بالمفهوم النقدي (Motive)⁽⁴⁾، حيث يثير حضورها القارئ للبحث ومراجعة حضورها السابق وسياقات هذا الحضور والاقترانات الدلالية المرافقة له، وهذا ما يجعل لفظة "القناديل" ذات قيمة خاصة تتجاوز سياقاتها التاريخية، وتتخطى ما اقترن بها من حس إنساني بالخوف من فكرة الموت ومعرفة الأجل، عندما تربط باقترانات مستقبلية، إذ يلحظ من النصين السابقين أن مقدرة الإنسان قادرة على تجاوز الموت الذي اقترنت به دلالة القناديل، حيث يشير النص الروائي إلى أن القنديل الحقيقي الذي نرى فيه العالم هو الذي نوقده بأنفسنا، لا الذي يمنح لنا، كما أنه بمقدورنا أن نشعل قناديلنا مرة بعد مرة أحياء كنا أو أمواتاً، وتؤكد هذه الدلالة المطلقة للقناديل بملاحظة ما ورد على لسان نجمة إذ تقول: "هنالك يا شيخ قناديل لا تطفأ، وقنديلك منها، بعد كل ما فعلته، أترك تعتقد أن أحداً يستطيع إطفاء قنديلك؟! صحيح أن أحداً اليوم لا يجرؤ على الجلوس لتدوين كل ما فعلته من أشياء عظيمة، لأنهم لا يخافون شيئاً أكثر من خوفهم من الدولة، والدولة لا تخاف شيئاً أكثر من خوفها من الحبر، ولكن بعد عام أو عشرة أو خمسين أو مئة، سيتغير هذا، ويتبدل قنديلك وتتبدل كل تلك القناديل التي انطفأت دفعة واحدة تواسينني يا أمي؟!

لا يا شيخ، حين أقول كلاماً كهذا فإنني أطمئن الأيام القادمة بما سيأتي" (نصر الله، 2012، ص52)، وهو ما يدفع بالحدث التاريخي للرواية ليتجاوز الماضي ورهاناته، ويصبح معلقاً بالقدرة على الديمومة والاستمرارية، ومن ثم تجاوز الماضي إلى الحاضر والمستقبل، وتعبير أكثر دقة تصبح دلالة القناديل رهينة الزمنية المطلقة التي تتجاوز القسمة الزمنية المعهودة: الماضي، والحاضر، والمستقبل. لأنها رهينة الإرادة الإنسانية الحرة القادرة على إيجاد عالمها الخاص وتجديده. فكل ما جاء في الخطاب السردى عن القناديل لم يكن جزءاً من التاريخ، وإنما استغل إبراهيم نصر الله المناخ التاريخي لشخصية ظاهر ومنح نفسه قدراً واسعاً من الحرية والأفق التخيلي ليبث رؤيته الخاصة.

2- الدلالة على الحب: وقد برزت هذه الدلالة بوضوح في

خاصة، ولعل ذلك قد تحقق على نحو مثير في حضور كلمة (القناديل) حضوراً مكثفاً مشحوناً بدلالات سخرية تتجاوز حسيتها، حتى إنها باتت تحضر في نص الخطاب السردى مشكلة موتيفاً خاصاً قادراً على استثارة الدلالات التي ترشح منها كلما ترددت الكلمة أو ظهرت في الرواية، وهي بحاجة إلى تتبع دقيق لتحديد اقتراناتها الدلالية الكامنة والمنتشرة في فضاء السرد وأفقها منذ عنوان الرواية، ويمكن الإشارة -هنا- إلى الدلالات التالية التي اقترنت بهذه الكلمة:

1- دلالة الحياة والموت: وهي الدلالة المهيمنة التي تشهد انتشاراً كبيراً وواضحاً في الرواية، ولعل بورتها قد تشكلت في ما دعاه الروائي بـ"ليلة الانتظار والقناديل الأربعة"، فعندما أراد أبناء عمر الزيداني: سعد ويوسف وصالح، أن يختاروا خلفاً لأبيهم، وأرادوا أن يمكروا بظاهر، وهو أصغرهم، ليكون الواجهة ويفعلوا هم ما يحلو لهم بمال الميري، فقد لجؤوا إلى القناديل باقتراح من سعد الأكبر بينهم، وتقوم فكرتها على أن الناس يلجؤون إليها "حينما يختلفون؛ حين يكون هناك أمر عظيم فيه ملامسة لأطراف الموت، لاختيار ذلك الذي ستنتفضي شعلته أولاً، الذي يعتقدون أن حظه يقول إنه لن يعيش طويلاً! ولذا، فإن عليه القيام بالمهمة الصعبة، المهمة الأصعب. ومن تنطفئ شعلته بعد ذلك يكون من سيعيش أطول، ومهما كان عدد المختلفين في أمر يكون عدد القناديل مساوياً لعددهم" (نصر الله، 2012، ص41)⁽³⁾، وعلى الرغم من أن شعلة ظاهر هي التي انطفأت أولاً، فإنه عاش أكثر من سائر أخوته، وقد استغل الروائي ذلك ليؤكد الفعالية الإنسانية وقدرتها حتى على هزيمة الموت، وقد ثبت الخطاب السردى هذا الأمر مرتين:

- عندما قال ظاهر لبشر: "القنديل الذي سترى في ضوءه العالم عليك أن تشعله بنفسك يا بشر" (نصر الله، 2012، ص85).

- وعندما قال ظاهر لسعد بعد أن حقق نجاحات تجاوزت حدّ الخيال: "لقد مضى الزمن الذي كنا فيه ننتظر القناديل أن تنطفئ يا سعد...، لم يتركوا لنا من سبيل سوى أن نشعلها ثم نشعلها! أحياء كنا أو أمواتاً! ما مضى يا سعد لم يكن عمرنا، ما مضى - لم يكن سوى الوقت الذي منحونا.." (نصر الله، 2012، ص143-144).

فالتكرار على ذكر "القناديل" بتكثيف حضورها وتبئير هذا

(4) يشير مفهوم الموتيف (Motive) إلى الحافز، وهو أبسط وحدة قصصية لا يمكن تجزئتها، بحيث يكون قادراً على تأكيد فكرة ما والوظيفة التي يقترن بها، إذ إن قيمته في رمزيته ومخططة الأحادي، انظر: بروب، فلاديمير، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، ترجمة وتقديم: أبو بكر أحمد باقادر وأحمد عبد الرحيم نصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط1، 1409هـ-1989م، (66).

(3) وقد ذكرت الحادثة أكثر من مرة، انظر الرواية، (52)، و (193).

ريكور (Paul Ricœur) إلى "أن التاريخ مبحث غامض، نصفه أدب، ونصفه الآخر علم، وأن أبستمولوجيا التاريخ لا تستطيع إلا أن تسجل هذه الحالة آسفة متوقفة عن العمل باتجاه تاريخ لا يكون نوعاً من السرد"، مؤكداً "أن التاريخ الذي أبعد كثيراً عن الصيغة السردية يواصل الارتباط بفهمنا السردية" (ريكور، 2006، ص148)، فالتاريخ "مهما اكتسب إهاباً "علمياً" ليس إلا سردية خاصة" (باروت، والكيلاني، 2003، ص26)، وجوهر الحالة الجدلية إنما يكمن في مثل الزمن في التاريخ والرواية على حدّ سواء، وهو مفهوم قادر على مضاعفة الإشكالية، ولكن - في الوقت ذاته - قد يغدو أساسياً في حلّ الإشكال القائم، فعند كتابة رواية تستلهم زمناً تاريخياً، فإنها لا تحاول أن تقدم معرفة تاريخية، ومن ثمّ لن يقف الخطاب السردية في الرواية عند حدود الزمن التاريخي أو الكوني أو حتى النفسي، وإنما سيتعامل مع كل ذلك مستغلاً الحدث التاريخي ليقدم الزمن بصفته المجردة المطلقة، وتصبح تقسيمات الزمن: الماضي، والحاضر، والمستقبل، هي تخريجات تراتبية لزمن واحد هو الزمن المطلق. عند هذه اللحظة يغدو الحدث التاريخي المتخرج بوصفه ماضياً على الصعيد الزمني هو حدث الحالة التاريخية المجردة في الأفق المطلق للفاعلية الإنسانية، وتغدو عند هذه اللحظة بطولية ظاهر العمر الزيداني (ملك الجليل) وثورته على الدولة العثمانية لا مجرد حدث تاريخي تمّ في الماضي وانتهى، ولكنه هالة منسوجة في أفق الزمن المطلق الذي يأتلق في اللحظة التي تتقاطع فيها تخريجات الزمن، فيلتقي الماضي بالحاضر بالمستقبل وتختزل جميعها في لحظة واحدة مطلقة، يقول جورج لوكاتش (Georg Lukacs) مبرراً أهمية الرواية التاريخية: "مع ازدياد الوعي بالحاضر، يزداد الاهتمام بالتاريخ، بوصفه خلفية الحاضر أو "تاريخ الحاضر". وتسهم الرواية بوصفها إحدى أدوات تصوير التاريخ، الأكثر تفصيلاً وصدقاً، في استجلاء ما حدث في التاريخ" (لوكاتش، 2005، ص7)، وما يراد تحديداً أنه عند هذه اللحظة سيلتقي زمن الخطاب السردية وهو الحاضر بالزمن التاريخي وهو الماضي، ليكون ما حدث في الماضي (نهاية القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الذي هو زمن الحدث الروائي لرواية "قناديل ملك الجليل")، هو ما ينبغي أن يحدث في اللحظة الراهنة، وتكون الرواية -حقاً- أكثر تفصيلاً باستغلال السرد لتصوير جوانب الحياة والأحداث البسيطة التي تشكل الأحداث الكبرى في التاريخ، وتكون أكثر صدقاً عندما تثبت الحياة في الأحداث التاريخية لتنتقلها من إطار الخبر التاريخي الخاضع للصدق والكذب، إلى إطار إعادة التمثيل.

قصة حب بشر وغزالة، فعندما يئست غزالة من عودة بشر في الفصل الذي حمل عنوان "قنديل مطفاً ودموع حارقة"، مثل الخطاب السردية هذه الدلالة بقول الراوي: "استدارت، سارت بصمت نحو ذلك الضوء المنبعث من خيمتها، وقبل أن تغلق الباب، رفعت رأسها وأطفأت القنديل المعلق في عمودها، أطفأته كما لو أنها تحطمه" (نصر الله، 2012، ص73)، ولا شك في صلة دلالة الحب بالحياة في هذا السياق تحديداً.

3- الدلالة على النور: ليس ذلك في مستوى دلالة المفردة ذاتها، فالقناديل مرتبطة بالنور وتدل عليه دلالة تبعية، ولكن المقصود بذلك النور الذي يرتبط بأبعاد دالة على الحضارة والقوة والبهجة، وقد حضرت هذه الدلالة في مواضع عدة لعل أكثرها عمقاً ما جاء في حكاية الشيخ سعدون عن "مدن النور والظلام" (نصر الله، 2012، ص80).

ولعل من الشيق في هذه الدلالة أنها تجتمع عند فكرة الحياة التي هي أسّ هذه الدلالات جميعها، لا بمستواه الفردي والحسي، وإنما بالمستوى الجمعي والحضاري.

إن مجمل الدلالات التي اقترن بها موتيف "القناديل" قادر على تفسير عنوان الرواية، إذ إن الروائي عندما وضع عنوان "قناديل ملك الجليل" كان يشير إلى أن ما أراده من تقديم سيرة ظاهر العمر الزيداني إنما هو الاستئارة به في عصرنا الحالي، فقد أشار بذلك إلى أن قيمة ظاهر العمر الزيداني أنه بمثابة الرمز المطلق، وأن قيمة ما فعله تاريخياً كانت بمثابة هالة في فضاء مطلق سخي يمكن تمثله في أية لحظة زمنية، ومن ثم يصبح الخطاب السردية عبر عناصره المدمجة بالحدث التاريخي، سواء أكانت قد حصلت حقيقة ولكنها أبرزت وتم تكثيف حضورها وشحنها بإيحاءات خاصة، أم أنها لم تحدث في تاريخ ظاهر العمر الزيداني، يصبح الخطاب بذلك قادراً على تجاوز اللحظة الماضية للحدث التاريخي، ووضعه في سياق اللحظة الراهنة للقارئ، وعند هذه اللحظة تتولد أدبية النص الروائي وقيمة الرؤية التي يحملها.

ثالثاً: السرد والرؤية التاريخية

لقد أحسن الروائي استغلال الخطاب السردية لتقديم رؤيته الخاصة التي بنيت على الحدث التاريخي الواقعي، وقد كان التاريخ بأحداثه وشخصياته جزءاً مهماً من هذه الرؤية لا مجرد وسيلة لتحقيقها، فهو لم يستغل صلة قضيته بالحدث التاريخي فحسب، وإنما حاول أن يجسد هذه الصلة بين التاريخ وخطابه السردية في رؤية كلية تتجاوز الزمنية المقيدة، وهي صلة بنيت في جانبي الرؤية والتشكيل السردية، وذلك لما يشهده مفهوم التاريخ من إشكالية في صلته بمفهوم السرد، إذ يشير بول

ويتوفر السرد على معناه الكامل حين يصير شرطاً للوجود الزمني" (ريكور، 2006، ص95)، وبهذا الوعي لا يمكن أن نقرأ رواية "قناديل ملك الجليل" دون إدراك ما ضمته من رؤية فكرية هي أساس فلسفة التاريخ، وقد تجلى ذلك عياناً في بنية الخطاب السردى لا في بنية القصة التاريخية لشخصية ظاهر العمر في الفصل الذي حمل عنوان: "الأسئلة الصعبة"، إذ حمل الخطاب السردى الحوار التالي بين ظاهر العمر وحفيده الجهجاه:

"بمجرد أن رآه يدخل البوابة، ركض نحوه وقفز كجندب...، ظل ظاهر يسير إلى أن جلس، وقبل أن يسأله عن حاله، سأله الجهجاه:

- نحن في يوم الثلاثاء يا جدي أليس كذلك؟!
- نحن في يوم الثلاثاء.
- أي أن يوم الثلاثاء هو اليوم يا جدي، صحيح؟
- صحيح!
- ولكنني حين سألت أبي عنه أمس قال لي إنه الغد! وحين سأله عنه غداً، كما سألته عن يوم الجمعة الماضي، فسيقول لي: إن الثلاثاء اسمه الأمس. فما الصحيح يا جدي؟!
- أطرق ظاهر، وحين رفع رأسه كان يبتسم.
- وكأنك وجدت الحل يا جدي؟!
- الصحيح! أنه كلها، إنه اليوم والأمس والغد.
- لا، لا يمكن أن يكون ثلاثة أشياء يا جدي.
- بل يكون، لأن اليوم يشبهك!
- كيف يشبهني الثلاثاء يا جدي؟ هل أنا الثلاثاء؟!
- لا أنت الجهجاه، أليس كذلك؟
- نعم أنا الجهجاه.
- اتفقنا إذن، اليوم أنت ولد، ثم ماذا تصبح حينما تكبر؟
- شاباً.
- وحينما تكبر أكثر؟
- أصبح عجوزاً، مثلك يا جدي!
- أنا عجوز، لا علينا! ولكن يا جهجاه، ما اسمك وأنت طفل؟
- الجهجاه.
- وأنت شاب؟!
- الجهجاه!
- وأنت عجوز مثلي؟!
- الجهجاه أيضاً.
- يعني أنت الولد والشاب والشيخ. أليس كذلك؟
- هذا صحيح.
- وكذلك يوم الثلاثاء يا جهجاه، فهو؟ الأمس واليوم والغد.

فالخطاب السردى في هذه الرواية يتجاوز التاريخ بوصفه درساً علمياً، ولا يقدم العالم بصفته الموضوعية الخارجية، وإنما بدمج معطيات العالم بمجرى وعي الإنسان، فلا يبقى الإنسان مجرد صانع للحدث حتى في أبهى صوره كما هو الحال مع شخصية البطل (ظاهر العمر)، فالتاريخ الذي يختزل هذه الشخصية في هذه الصورة المبسرة لتصبح مجرد قوة ناجزة للحدث التاريخي ومتحقة عن سيرورته الحتمية بعد تحليل العوامل المشكلة لها، يتجاهل القيمة الإنسانية ذاتها التي انبثق عنها الحدث، ومن هنا تتولد قيمة الفن الروائي ووظيفة الخطاب السردى، ليكون أقدر على حمل الرؤية التاريخية وفلسفته من علم التاريخ ذاته، حيث يعاد النظر في مفهوم الحدث وصانعه انطلاقاً من وعي القيمة الإنسانية باعتبارها قوة فاعلة في التاريخ لا مستجيبة لها، فرواية "قناديل ملك الجليل" لا تقدم ظاهر العمر بصفته بطلاً تاريخياً فحسب، وإنما تكشف عن عمق الجانب الإنساني للشخصية بكل ما تحتمله طبيعة الإنسان من مشاعر وأحاسيس تتجاوز معطيات العالم الموضوعي كما يقدمها التاريخ، وهذا ما يبرز قيمة الرواية التاريخية، ويشير جورج لوكاتش إلى ذلك بقوله: "إن ما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماماً في الواقع التاريخي" (لوكاتش، 2005، ص46). فالكشف عن دوافع السلوك الاجتماعية والإنسانية تجعل الأحداث الصغرى غير المهمة أكثر ملاءمة من أحداث التاريخ الكبرى المهمة. ويتأمل الخطاب السردى للرواية، يتضح أن القيمة الحقيقية ليست في الأحداث التاريخية ذاتها التي سبق أن قدمها التاريخ، ولكن في الالتفات إلى تفاصيل الحياة البسيطة التي صنعها الروائي ليعت الحياة في الحدث التاريخي، ويدفع بها لتكون الأساس المشكل لمنطق التاريخ، والذي يمكن إجماله بالفاعلية الإنسانية التي تصنع التاريخ.

إن الالتفات إلى هذه العلاقة الجدلية التي تفرضها الرواية التاريخية، وهذه الرواية تحديداً، في علاقتها بالتاريخ إنما يكشف عن رؤية وفلسفة تاريخية عميقة، تكمن في انتشارال الحدث التاريخي من السقوط في مستنقع الظرفية التاريخية الآفلة، إلى وضعه في إطار الزمنية المطلقة، حيث تتخلق قيمة التاريخ والرواية معاً من الإحساس الحاد بالزمن لا باعتباره معطى مجرداً، ولكن عندما يصبح مندمجاً بالتجربة الإنسانية الفاعلة والخلاقة، أي - وبلغه بول ريكور - "يصير الزمن إنسانياً بقدر ما يتم التعبير عنه من خلال طريقة سردية،

- هل أنا الآن أمس أم اليوم يا جدي؟!
 - أنت...، حيرتني، إذا نظرنا إليك كيوم الثلاثاء، فأنت اليوم الذي لم ينته!
 - هذا غير معقول يا جدي، إذا كنت الآن، أنا اليوم، فماذا سأكون غداً، وأنا موجود اليوم؟
 - غداً، أنت الغد يا جهجاه" (نصر الله، 2012، ص432-433).

إن هذا الحوار البسيط تماماً هو ما يستغله الروائي كما استغل التفاصيل البسيطة ليقدم رؤيته من تمثيل الأحداث التاريخية، ولجعل هذه الرؤية تبرز الحدث التاريخي لقصة الشيخ ظاهر العمر لتجعل منه الشخصية النموذجية التي تجاوزت بوعياها وصنيعها الظرفية التاريخية، فقد جعل الخطاب السردية شخصية ظاهر العمر رمزاً متعالياً على احتواء الظرفية التاريخية له، وهذا هو سؤال الأدب الحقيقي الذي يعلي من مستوى الأحداث والشخصيات ليعمها في إطار المطلق والأبدى.

رابعاً: تشكيل الشخصية

تتشكل الشخصية في النص الروائي من خلال مجموعة من الإشارات التي يقدمها الخطاب الروائي عبر المتواليات السردية على طول المدى الإنشائي للرواية، ولتشكل الشخصية المحورية في هذه الرواية وضعية خاصة، ذلك لأنها شخصية تاريخية حقيقية ذات نسب ثابت وممتد حتى وقتنا الحالي، فكيف يمكن أن تتشكل هذه الشخصية لتصبح جزءاً من عمل فني؟ إن متابعة تكوين الشخصية في الخطاب السردية تكشف عن وضعية متشابكة تاريخياً وأدبياً.

إن القيمة الفنية للشخصية الروائية التي يمكن أن تجد تمثيلها الضروري في الخطاب السردية لا يمكن حصرها بكونها تصميمًا ضرورياً لوصف الحدث وإقامته، وإنما في عدد من السمات التي تصور بها الشخصية وتقدم للقارئ كحاكاة لواقع تاريخي دون التخلي عن إعادة تمثيلها لحالة مجردة تتجاوز حسيته التاريخية، وما بين هذين البعدين: الحقيقة التاريخية، والقيمة الفنية المجردة، تظهر قيمة الشخصية في الرواية، وهو ما يستلزم البحث عن تلك السمات التي أبرزها السرد والتي يمكن أن تشكل صورة الشخصية في النهاية.

لعل أبرز ما يمكن الروائي من رسم صورة الشخصية هو التصوير المحايث للطبيعة الحسية لحياتها اليومية والاعتيادية، وذلك بالتركيز على الجوانب الحسية لحياة الشخصية كما يمكن تخيلها، وإبراز طبائع الشخصية وقسماتها الفردية ونوازعها

الإنسانية وطرقها في التفكير، وهو ما تشترك به شخصية ظاهر مع بقية البشر، وهو ضروري لترسيخ فكرة الشخصية النموذج، حيث تتولد إمكانية تمثيلها في زمن آخر، ولقد حضر هذا الأمر في جوانب كثيرة في النص الروائي، لعل من أمثلتها ما جاء من وصف دقيق للباس ظاهر وحركاته كما في المقطع التالي: "لم يخفَ على أحد أن ظاهر قد فكر في كل شيء قبل وصوله؛ كان سيف أبيه معلقاً على خاصرته، وطبنجة أبيه ذات المقبض الخشبي المطعم بالعاج والنحاس الأصفر تتدلى من حزامه فوق بطنه وقد انفجرت عبايته الزيتونية المطرزة بخيوط برتقالية رقيقة فوق قميص قطني عسلي، أما غطاء رأسه فقد كان شالاً حريريًا عسلياً أيضاً التف حول الرأس عدة مرات فوق طاقية قطنية بيضاء لا تظهر. ألقى السلام، وسار نحو الشيخ سعدون الذي يتوسط المجلس بجانب أخيه سعد، عانقه بحرارة، ثم استدار وحياً الرجال الجالسين إلى اليمين رافعاً يده، وحياً أولئك الجالسين إلى اليسار. في تلك اللحظة، أدرك سعد ما يدور في عقل ظاهر كما لو أن يدًا خفية راحت تدفع سعد بعيداً عن الشيخ، وجد سعد جسده يبتعد رغماً عنه، مفسحاً لظاهر المكان، بحيث يكون الشيخ سعدون إلى يساره وسعد إلى يمينه!" (نصر الله، 2012، ص81)، فهذا الدخول في التفاصيل الدقيقة في وصف حركات ظاهر ولباسه وسلوكه يخيل حالة إنسانية عادية؛ تجسد في الوقت ذاته وعي هذه الشخصية وتطور موقفها ونضج فكرها، الذي بدأ يشعر بالمكانة الجديدة التي اكتسبتها.

ولا بدّ لرسم صورة البطل بكل مستلزماتها التاريخية أن لا يكتفي إبراهيم نصر الله بالجانب الحسي، لذلك يلجأ إلى تقديم الشخصية تقديمًا "يكاد يبلغ حدَّ الأسطورة" (الأسطة، 2014)، وهو ما ينسجم مع إحساسه بالقيمة التاريخية لهذه الشخصية، فقد حاول الروائي أن يضيف على شخصية ظاهر العمر هالة أسطورية تتجاوز بها معطيات العالم الطبيعي والموضوعي، وتجاوز بها الوجود التاريخي للشخصية، ولعل ذلك كان بمثابة لازمة ضرورية لينتج الخطاب السردية للحكاية من احتضان أكبر قدر ممكن مما علق بهذه الشخصية وأفعالها في التاريخ في المصادر التي قدمتها وكانت أقرب إلى السير الشعبية⁽⁵⁾، وحتى تتميز هذه الشخصية داخل الخطاب السردية وتتجاوز

(5) ذكر الروائي في نهاية روايته مراجعه التي استند إليها، ولعل بالإمكان ملاحظة تطابق أحداث الرواية بما جاء في بعض المراجع خاصة السيرة التي كتبها بالعامية عيود الصباغ وهو ابن إبراهيم الصباغ الذي كان وزيراً للشيخ ظاهر العمر الزيداني، وكان قد سكن في مصر بعد سقوط الشيخ (الصباغ، 1999، مقدمة المحققين، ص9).

(2012، ص53).

4- "لم أبغض أحداً مثلاً أبغض أولئك المطمئنين لكل شيء" (نصر الله، 2012، ص84).

5- "ليس لدي أجمل من يومين يوم ربيع ويوم خريف" (نصر الله، 2012، ص91)

لقد استطاع إبراهيم نصر الله بلجونه إلى مثل هذه العبارات أن يحقق إرادته عبر حدث تاريخي راسخ يصعب أن يترافق بقصد خاص بالمؤلف، وهو ما يشير إلى أمر في غاية الأهمية عند التعامل مع رواية تاريخية من هذا القبيل، فهناك نوعان من الروايات التاريخية: الأول: هو النوع الذي يوجد فيه الروائي بطلاً من شخصيات مجهولة تاريخياً أو غير تاريخية إطلاقاً، وقد أشار لوكانش إلى أن بعض روايات والتر سكوت (Walter Scott) التاريخية يقوم بالدور الرئيسي فيها "أشخاص مجهولون تاريخياً، أو أشخاص شبه تاريخيين، أو غير تاريخيين إطلاقاً" (لوكانش، 2005، ص40). وفي هذا النوع يمكن الحديث عن قصد للمؤلف في صناعته للشخصيات والأحداث. أما النوع الثاني: فهو عندما تكون الشخصيات شخصيات معروفة تاريخياً وموثقاً بنسبها، وفي هذه الحالة تكون إسهامات المؤلف في توجيه قصد محدد أقل مما هو عليه الحال في النوع الأول، إذ ينبغي الحديث في هذه الحالة عن إرادة المؤلف لا قصده، وهو ما حققه إبراهيم نصر الله في مثل هذه العبارات وما شاكلها من قرائن ووظائف اندماجية.

إن هذه المقدرة الخاصة التي يبلورها الخطاب السردى تكشف عن الكيفية التي يخلق فيها الروائي وسائطه التعبيرية، حيث يتمكن الروائي من خلالها من توليد أطر العالم الخاص للشخصية التي يسعى إلى تقديمها، ولعل إبراهيم نصر الله أراد أن يعيد تمثيل شخصية ظاهر العمر الزيداني وإعادتها للحياة متصاحبة مع طبيعة الوجود الإنساني بكل تبعات هذه الوجود، فالحدث التاريخي الذي اقترن بهذه الشخصية لا يمكن أن يصبح جزءاً من نسيج عمل أدبي إلا إذا وهب سمته الإنسانية الحققة، ولذلك حاول الروائي أن يصنع عالم الشخصية فيما يمكن التعبير عنه بنطاق الرغبة والإمكان، فكل ما يحاول الروائي تجسيده هو إبراز هذا النطاق في شخصية ظاهر العمر الزيداني، ومن هنا تصبح هذه الشخصية معلقة في هذه القيمة الإنسانية المجردة: الرغبة في أمر ما، وتوليد الإمكانات الممكنة لتحقيقها وإيجادها وخلقها، وهو بذلك يركز على الإنسان في ذاته كإمكانية لا تحتكم إلى ظروف ومعطيات ينتظر الإنسان تحقيقها، وفي مثل هذه الحالات تتحقق رمزية الأدب.

لقد ظهر في الرواية عدد كبير من الشخصيات، أغلبها كان

الاعتيادي كان لا بدّ من التركيز على تقديم الشخصية تقديمًا لا يكفي بالحدّ المنطقي وحده، ولذلك حشد الروائي إشارات عدة لبلورة صورة البطل، فمنذ ولادته توفيت والدته (نصر الله، 2012، ص18)، وهذه الحادثة كانت بمثابة القطيعة البيولوجية عن العالم الإنساني، وهي تكاد تكون لازمة لرسم ملامح شخصية لم تنشأ كبقية الناس، إذ يرفض الطفل الوليد الرضاعة من أية مرضعة، وتنتهي هذه الحالة إلى أن تكون مرضعته هي فرس دعيت باسم "حليمة" (نصر الله، 2012، ص19)، وهنا تتشابك الخيوط التاريخية والأدبية لتوسع حضور الشخصية وتجذرنا إلى ما هو أبعد من حدود الوجود الإنساني، فعدم قبول الرضاعة إلا من الفرس يكاد يجعل هذه الشخصية نصفها إنسان ونصفها الآخر حيوان، لتقترب في ذلك من طبيعة الأبطال التي عرفت في الأساطير والملامح القديمة، ومن جهة أخرى فإن اختيار اسم المرضعة الفرس "حليمة"، سيحيل إلى اسم مرضعة سيدنا محمد (ص)، ومن ثمّ سيضخم حجم هذه الشخصية لتتنازى في فعلها مع ما قام به عظماء التاريخ.

فضلاً عن ذلك فإن محاولة تشكيل صورة نموذجية لشخصية ظاهر العمر الزيداني في ذهن القارئ لا بدّ أن تهتم ببلورة السمة الفكرية للشخصية، وهي تحظى بمركزية الرؤية الفكرية التي يسندها عالم الرواية، وذلك من خلال التعبير عن نظرة الشخصية إلى العالم من حولها، وهو جوهر الخطاب السردى، وقد قيل: "إنّ أي وصف لا يشتمل على نظرة شخصيات العمل الأدبي إلى العالم لا يمكن أن يكون تاماً. فالنظرة إلى العالم هي الشكل الأرقى للوعي. والكاتب يطمس العنصر الأهم من الشخص القائم في ذهنه حين يهمل النظرة إلى العالم" (لوكانش، 2006، ص25)، وقد تجلّى هذا الوعي في كثير من التعبيرات الخاصة التي أطلقها ظاهر العمر الزيداني، أو وردت على لسان بعض الشخصيات مثل نجمة، فمثل هذه العبارات هو ما يبعد الخطاب السردى عن الخطاب التاريخي، ويهبه صيغة تشخيصه الأدبي، وهو ما أتاح للمؤلف أن يحقق إرادته بإبراز مقولاته الخاصة التي أدمجها بالحدث التاريخي، وكشفت عن رؤيته للعالم، فكانت عبارات ذات مغزى بعيد تتجاوز الوقوع في الزمنية المقيدة، كما في العبارات التالية:

1- "الأطفال وجدوا لتجميل العالم، أما الكبار فقد وجدوا لتغييره" (نصر الله، 2012، ص180).

2- "القنديل الذي سترى في ضوءه العالم عليك أن تشعله بنفسك" (نصر الله، 2012، ص85).

3- إنّ قاتل طرفة بن العبد "لم يستطع أن يحشره في القبر، لقد مات قاتله وطرفة لم يزل حياً إلى يومنا هذا" (نصر الله،

لزمه. وهو ما يجعل الرؤية هنا متمحورة حول فكرة "الفعالية الإنسانية" ومقدرتها على صنع التاريخ، ولعل ذلك إنما هو حصيلة هاجس اللحظة الراهنة الذي سيطر على الروائي، فالواقع الراهن لفلسطين يظهر حالة الخذلان التي يشعر بها العرب تجاهها.

لقد أحسن إبراهيم نصر الله انتقاء الأحداث التاريخية، واستعاد المناخ التاريخي لشخصية ظاهر العمر الزيداني دون الإخلال بالأمانة التاريخية في تقديمه لهذه الشخصية، ومنح نفسه قدرًا من الحرية في تمثيل الحدث التاريخي ودمجه بأحداث وأفعال متخيلة لتكون أكثر أثرًا في المتلقي، وقد دمج المرجعية التاريخية بالتخييل الروائي، متجاوزًا بذلك نمطية السرد التاريخي إلى فضاء العالم الروائي المحقق لأدبية النص.

وقد تمكن إبراهيم نصر الله من تقديم التاريخ بوعي خاص مستغلًا السرد الروائي على نحو ناضج وموظف لإحداث التخييل الروائي، والإدهاش الأدبي، والوعي الفكري. واستطاع أن يضع في نصه الروائي كل ما يؤكد أصالة هذا العمل وقوته، أي: المحتوى الفكري، والموقف الإنساني، والوسيلة الأدبية المتميزة.

شخصيات حقيقية تاريخية مثل: أخوة ظاهر، وأبنائه، ووزيره إبراهيم الصباغ، والولاة العثمانيين، لكن هذه الشخصيات قد اكتسبت قيمتها في النص الروائي من علاقتها بالشخصية المحورية شخصية ظاهر العمر الزيداني، لذلك لم يتم التركيز عليها في الخطاب السردى، كما أن هناك شخصيات أبدعها الروائي "تمثل نماذج اجتماعية وإنسانية في عصر الأحداث، انطلاقًا من فهمه وتحليله للعلاقات الاجتماعية السائدة وقواها الفاعلة" (إبراهيم، 2012، ص46)، مثل شخصية الشيخ سعدون، والفتاة التي أنقذها ظاهر ممن حاول الاعتداء عليها، وغير ذلك من شخصيات كانت ضرورية لوصف الحدث وتصميمه، إلا أنها لم تحفل باهتمام الروائي، ولم تحمل أية رؤية خاصة.

الخاتمة

إن خلاصة ما أراد إبراهيم نصر الله تأكيده في هذه العمل أن شخصية الشيخ ظاهر العمر كانت ممتلئة لوعي فاق حدود المعطيات المنطقية لعصرها، وهو ما ينبغي أن يحاكي في اللحظة الراهنة، أو أية لحظة زمنية مشابهة للسياق التاريخي

المراجع

- ط1، بيروت، باريس: منشورات عويدات.
باروت، م والكيلاني، ش، 2003، التاريخ والسرد تجليات القدس في تاريخ مقدس، الكرمل، ع74-75، رام الله، مؤسسة الكرمل الثقافية.
بروب، ف، 1989، مورفولوجيا الحكشاية الخرافية، ترجمة وتقديم: أبو بكر أحمد باقادر وأحمد عبد الرحيم نصر، جدة، النادي الأدبي الثقافي.
الحجمري، ع، 1997، هل لدينا رواية تاريخية؟، فصول مجلة النقد الأدبي، مج 16، ع3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ريكور، ب، 2006، الزمان والسرد، ج1، ترجمة: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، راجعه عن الفرنسية: جورج زيناتي، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
الزعبى، زياد، "قناديل ملك الجليل" قناديل ملك الجليل تضئ بؤرة

- إبراهيم، ر، 2012، الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، ط1، عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.
إبراهيم، ع، 1990، المتخيل السردى مقاربات نقدية في التناص والروى والدلالة، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
أبو نضال، ن، 2006، التحولات في الرواية العربية، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
أبو هيف، ع، 2002، روى التاريخ في الرواية العربية، مجلة الموقف الأدبي، ع، 374، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
الأسطة، ع، 2014، قناديل ملك الجليل، موقع نقطة أول السطر، وفق الرابط: <http://www.noqta.info/page-65754-ar.html>
بارت، ر، 1988، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنطوان أبو زيد،

لوكانش، ج، 2005، الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

لوكانش، ج، 2006، دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلوز، ط4، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

مارتن، و، 1998، نظريات السرد الحديثة، ترجمة: حياة شرارة، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة.

نصر الله، إ، 2012، قناديل ملك الجليل، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

هياس، خ، 2001، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

جغرافية تاريخية معتمدة من تاريخ فلسطين، جريدة الغد، عمان، الخميس 22 كانون الأول/ ديسمبر 2011.

الصباغ، ع، 1999، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، تحقيق: محمد عبد الكريم محافظة وعصام مصطفى هزايمة، ط1، إريد: دار الكندي.

شارتيه، ب، 2001، مدخل إلى نظريات الرواية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

عبد القادر، م، 2012، فضاء التجاوز قراءات تطبيقية في إبداعات شعرية وروائية لإبراهيم نصر الله، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

Narrative and Historical Vision in “Qanadeel Malik Al-Jaleel” Novel

*Sami M. Ababneh**

ABSTRACT

This research studied the relation between narrative and history in Ibrahim Nasrallah's novel “Qanadeel Malik Al-Jaleel”. The research focused on four aspects: Reality of genre, Narrative speech and the historical story, Reality of the historical vision, and Formation of character.

This research tried to explore the artistic value and the intellectual vision illustrated by presenting historical subject related to Sheikh Dhaher Al-Omar Al-Zaydani.

The research showed that the novel represents a problematic case in its relationship to history as both share the subject raised. The novel was characterized by its ability to: represent historical events, generate sensations in historical events – ones that surpass reporting to fiction, and give the text its literary form.

This research brought out that the idea of the novel and the novelist's vision are represented in enhancing the level of presence of Dhaher Al-Zaydani's character from a past-event level to a current-moment level. Thus, the character was made an absolute symbol who surpassed with his deeds the historical circumstance of his time.

Keywords: Narrative, “Qanadeel Malik Al-Jaleel” Novel, Historical Novel.

* Department of Arabic Language, The University of Jordan, Amman. Received on 15/2/2015 and Accepted for Publication on 7/4/2015.